

الحلقة الثانية والعشرون

أمثال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن أمثال المخلص يسوع المسيح. ويقارن المثل بين شيء مألوف للناس، وآخر غير مألوف لديهم. وذلك لإيضاح حقائق يريد صاحب المثل إيصالها إليهم.

ولقد استخدم المسيح الكثير من الأمثال، لإيضاح الحقائق الروحية، وليكشف الهدف الذي أتى من أجله. وكنا قد تحدثنا في اللقاء السابق عن مثل الأب الذي طلب من ابنه الذهاب للعمل في الحقل. فأجاب الأول أنه لا يريد لكنه ندم وذهب، بينما قال الثاني أنه سيذهب لكنه لم يمض. وكان المسيح قد وجّه هذا المثل لرؤساء الكهنة وشيوخ الشعب اليهود. فهم كالابن الثاني يدعون للتدين، لكنهم لا يتجاوبون مع دعوة الخلاص، أما الأشرار فهم كالابن الأول يعترفون بخطاياهم ويتوبون فينالون خلاص الله.

وتابع المخلص المسيح كلامه لرؤساء اليهود فتحدث لهم بمثل آخر قائلاً: «كَانَ إِنْسَانٌ رَبُّ بَيْتٍ غَرَسَ كَرْمًا، وَأَحَاطَهُ بِسِيَاجٍ، وَحَفَرَ فِيهِ مَعْصَرَةً، وَبَنَى بُرْجًا، وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ وَسَافِرٍ. وَلَمَّا قَرُبَ وَقْتُ الْأَثْمَارِ أَرْسَلَ عَبِيدَهُ إِلَى الْكَرَّامِينَ لِيَأْخُذَ أَثْمَارَهُ. فَأَخَذَ الْكَرَّامُونَ عَبِيدَهُ وَجَلَدُوا بَعْضًا وَقَتَلُوا بَعْضًا وَرَجَمُوا بَعْضًا. ثُمَّ أَرْسَلَ أَيْضًا عَبِيدًا آخَرِينَ أَكْثَرَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، فَفَعَلُوا بِهِمْ كَذَلِكَ. فَأَخِيرًا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ ابْنَهُ قَائِلًا: يَهَابُونَ ابْنِي! وَأَمَّا الْكَرَّامُونَ فَلَمَّا رَأَوْا الْابْنَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: هَذَا هُوَ الْوَارِثُ! هَلُمُوا نَقْتُلْهُ وَنَأْخُذْ مِيراثَهُ! فَأَخَذُوهُ وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ.

وعندها سأل المسيح رؤساء الشعب قائلاً: فَمَتَى جَاءَ صَاحِبُ الْكَرْمِ، مَاذَا يَفْعَلُ بِأَوْلَادِكَ الْكَرَّامِينَ؟» قَالُوا لَهُ: «أَوْلَادِكَ الْأَرْدِيَاءُ يُهْلِكُهُمْ هَلَاكًا رَدِيًّا، وَيَسَلِّمُ الْكَرْمَ إِلَى كَرَّامِينَ آخَرِينَ يُعْطُونَهُ الْأَثْمَارَ فِي أَوْقَاتِهَا». قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَّا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاوُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ؟ مَنْ قَبِلَ الرَّبَّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا! لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لِأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ. وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هَذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ!». وَلَمَّا سَمِعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيسِيُّونَ أَمْثَالَهِ، عَرَفُوا أَنَّهُ تَكَلَّمَ عَلَيْهِمْ» (بشارة متى ٢١: ٣٣-٤٥).

صديقي المستمع، يشرح المسيح بمثل الكرم والكرّامين قصّة علاقة الله مع شعب إسرائيل. فرب البيت هو الله، والكرم الذي غرسه هو بنو إسرائيل في القديم. والسيّاح والمعصرة والبرج، تشير إلى الشريعة والطقوس التي أعطاهم إياها. أما الكرامون فهم القادة الدينيون في إسرائيل. والعبيد الذين أرسلهم رب البيت، فهم الأنبياء والكهنة الذين أرسلهم الله ليعلنوا رسالة الله لبني إسرائيل. لكن الذي حصل هو أن بني إسرائيل اضطهدوا هؤلاء الأنبياء وقتلوا بعضاً منهم. وعندما أرسل الله المزيد فعلوا نفس الشيء بهم. وعندما قرر رب البيت أن يرسل لهم ابنه، لعلهم يخافون منه. والابن هنا يشير إلى المخلص يسوع المسيح، الذي هو كلمة الله الأزلي. لكن الكرامين وهم قادة إسرائيل الدينيون، عندما رأوا المسيح المخلص قرروا التخلص منه. وهكذا أخذوه خارج المدينة وقتلوه. وهنا تتبأ المسيح عن تأمر رؤساء اليهود عليه بحادثة موته على الصليب خارج أسوار مدينة أورشليم.

وعندها طرح المسيح سؤاله على رؤساء الشعب قائلاً: « فَمَتَى جَاءَ صَاحِبُ الْكَرَمِ، مَاذَا يَفْعَلُ بِأَوْلِيكَ الْكِرَامِينَ؟ ». أجابوه: «أَوْلِيكَ الْأَرْدِيَاءُ يَهْلِكُهُمْ هَلَاكًا رَدِيًّا، وَيُسَلَّمُ الْكَرَمُ إِلَى كِرَامِينَ آخَرِينَ يُعْطُونَهُ الْأَثْمَارَ فِي أَوْقَاتِهَا». أي نطق أولئك الرؤساء على أنفسهم بالهلاك، وأن الله سيسلم ملكوته إلى أناس آخرين. وهنا قال لهم المسيح: « أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاوُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّوَايَةِ؟ » إن المسيح هو الحجر الذي رفضه البنّاؤون، وصار رأس الزاوية. ثم تابع قائلاً: لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ مَلَكَتِ اللَّهُ يَنْزِعُ مِنْكُمْ وَيُعْطِي لِأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ ». وعندها فهم رؤساء الشعب أنه يتكلم عليهم.

مستمعي الكريم، أجل، لقد رفض معظم اليهود المسيح المخلص، ولهذا نزع الله ملكوته عنهم وأهلكهم، وأعطى ملكوته لأمة أخرى. لحلّ السؤال الآن: من هي هذه الأمة التي أعطى الله ملكوته لها؟ والجواب: إنها كنيسة المسيح المفديّة المؤلفة من كل الشعوب والأمم والألسنة. إن كل من يؤمن اليوم بخلص المسيح وعمله الكفاري من أجله على الصليب، يصبح من كنيسة المسيح، ومن الشعب أو الأمة التي أعطاه الله ملكوته. لقد أرسل الله المسيح أولاً إلى خاصّته أي شعب إسرائيل، لكن خاصّته لم تقبله، أي رفضته. كما ذكر البشير يوحنا في بشارته. وتابع البشير يوحنا قائلاً: « وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. الَّذِينَ وَلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ اللَّهِ » (بشارة يوحنا ١: ١٢-١٣). إن كل من يؤمن اليوم بالمسيح المخلص يصبح من أولاد الله ومن شعبه.

ولنلاحظ قول المخلص المسيح أنه هو الحجر، رأس الزاوية الذي يُبنى عليه ملكوت الله. وأن « مَنْ سَقَطَ عَلَى هَذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ! » لقد رفض رؤساء اليهود المسيح، ولهذا سقطوا عليه وترضضوا أي تكسروا. لكنّ المسيح وبسبب رفضهم له، سقط هو عليهم أي أدانهم وسحقهم.

ألا تود مستمعي أن تكون من أولئك الذين قال عنهم المسيح أن الله يسلمهم الكرم أي ملكوته؟ أو ليس هذا امتيازاً عظيماً أن تكون من أولئك الذين يثق بهم الله ويسلمهم ملكوته؟ وهنا عليك أن تكون أميناً في مسيرتك مع الله وتعطي الثمار الجيدة، وليس كالكرّامين اليهود السابقين. لكي تحصل على هذا الامتياز العظيم، أرجو مستمعي أن تؤمن بالمخلص المسيح، الذي مات من أجلك على الصليب، وقام من بين الأموات لكي يهبك الغفران الكامل عن خطاياك، وليجعلك من أولاد الله ومن شعبه.